

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين أبي الحسن الثاني نصر الله

أزجون حكيماً في اصطناع المعروف

جمع

زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة 656 هـ

شرح وتعليق

أبي عبد الله محمد بن إبراهيم السامي

المتوفى سنة 803 هـ

تلخيص

أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي

المتوفى سنة 875 هـ

على عليه وقدم له المروم

محمد بن تاروت الطنجي

1405 هـ - 1985 م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وأله وصحبه أجمعين.

تصدير

حمدا لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على من أرسله الله للناس
أجمعين وخصه بجوامع الكلم بين الأنبياء والمرسلين.

وبعد، فإن أحسن ما يشتغل به المسلم في باب العلم، وأفضل ما
يعتني به المومن بعد القرآن الكريم هو حديث رسول الله ﷺ، وسنته
قولا وفعلا وتقريراً. إذ هي في المعنى من وحي رب العالمين، وهي تبيان
للذكر الحكيم، ومصدر ثانٍ للتشريع الإسلامي واستنباط أحكامه، ومنبع
توجيه وإرشاد للإنسان في كافة أموره وشؤون حياته، الدينية منها
والدنيوية، مصداقاً لقول الله تعالى في حق رسوله: ﴿وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس من نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾، وقوله سبحانه:
﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وهذه المكانة للسنة النبوية جعلت المسلمين عامة، وعلماهم خاصة يعتنون بها كامل العناية، ويتدارسونها بالسند والرواية، خلفا عن سلف، ويحرصون على حفظها في الصدور، وتدوينها في الكتب بين السطور، بعد تمييز صحيحها من سقيمها، وقويها من ضعيفها، حتى تكون بين يدي المسلم خالصة وسليمة من شوائب الخلط والوضع والافتراء، رغبة منهم في أن يشملهم دعاء الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ، حين قال : «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سمع»، وتحقيقا لوعده صلى الله عليه وسلم حين قال : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

وإن من جوانب هذا الاعتناء بالسنة النبوية انتقاء العلماء لعدد من الأحاديث التي تدور حول موضوع من المواضيع، كالآداب، أو الزهد، أو الجهاد، أو الطب، أو غيرها، وجمعها في مصنف صغير يسهل الرجوع إليه عند الحاجة، ويتيسر تداوله بين الخاصة والعامة. وغالبا ما يقتصرون في ذلك على أربعين حديثا، كما فعل كثير من أقطاب العلماء أمثال عبد الله بن المبارك، والحسن بن سليمان النساши والحاكم، والبيهقي، والإمام النووي الذي جمع أربعين حديثا متنوعة الموضوعات، كل حديث منها يعتبر قاعدة من قواعد الدين، وصفه العلماء بأن عليه مدار الإسلام، وذلك رغبة منهم في نشر السنة بهذه الطريقة، ودخولهم في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ، وهو : من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء، وفي رواية : «كنت له شفيعا وشهيدا»، وفي رواية : قيل له : «ادخل من أي أبواب الجنة شئت».

وقد سار على هذا النهج القويم، وسنن السلف الصالح من علماء المسلمين، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري صاحب الكتاب الشهير في الحديث : «الترغيب والترهيب» وغيره من الكتب الجليلة، المتوفى سنة 656 هـ، فانتقى رحمه الله - أربعين حديثاً في اصطناع المعروف إلى المسلمين، وقضاء حوائج الملتهوفين، لما لحديث رسول الله ﷺ، من مكانة وأثر في نفوس المومنين، وتوجيه حياة المسلمين إلى فعل الخير والتسابق إليه، ولما لهذا العمل من فضل وثواب لصاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الدال على الخير كفاعله، خاصة والناس في زمان أصبحوا فيه منشغلين بنفوسهم، ومفتونين بالدنيا أكثر من أي وقت مضى، غافلين عن اصطناع المعروف إلى الناس، فصاروا في أمس الحاجة إلى التذكير بآيات الله وحديث رسوله في هذا المجال، فإن الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»، فاصطناع المعروف إلى الناس شعبة من شعب الإيمان، وعمل مرغب فيه من أعمال الإسلام، ويحفظ من مصارع السوء كما قال العلماء.

وإسهاما من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في خدمة السنة النبوية، ومواصلة منها للسير في إحياء التراث الإسلامي الأصيل يسعدها ويسرها أن تتقدم بإعادة طبع هذا الكتاب، حتى يكون في متناول عامة المواطنين وجمهور المسلمين، وخاصة المهتمين منهم بالدراسات الإسلامية، والقائمين على شؤون الإرشاد والتوعية الدينية، حتى يستفيدوا منه ويفيدوا، ويكون له أثر في بث الفضيلة وغرس روح المحبة والتعاون على كل خير ومعروف، والتسابق إليه بين كافة الناس، عملاً بقول الله تعالى في وصف المومنين، «إن الذين هم خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هو ربهم لا يشركون والذين يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون».

نسأل الله تعالى أن يحقق النفع بهذا الكتاب للخاص والعام من أمة الإسلام، وأن يجعل إعادة طبعه من حسنات مولانا الإمام أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني الراعي الأمين لشؤون الدنيا والدين في هذا البلد المسلم العزيز، كما نسأله تعالى أن يقر عينه بسمو ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه الأمير مولاي رشيد، وسائر أسرته الكريمة إنه سميع مجيب.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

تقديم

- 1 -

أول من عني بجمع هذه الأحاديث الأربعين التي تحث على الصبر على المصائب المعروف إلى المسلمين وقضاء حوائجهم : أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (581 هـ - 656 هـ) (1)، ومع أنه لم يدل على مواضعها من كتب الحديث، فإنها قد بقيت لدى أهل المعروف والدلائل على الخير في الوسط الإسلامي من الاعتناء بها، والنظر في معانيها، وكثرة الطالبين لها - ما حدا أبا عبد الله محمد ابن إبراهيم بن إسحاق السلمي (المتوفى سنة 803 هـ) أن يخرج أحاديثها، وأن يشرحها (2) ويضيف إليها زيادات استحسنها.

وعزم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعالبي (المتوفى سنة 875 هـ) (3) على تأليف كتابه :

«الأنوار المضيئة، في الجمع بين الشريعة والحقيقة»

(1) ترجمة المنذري ومراجعها في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الملحق) 627/1. وأحاديثه الأربعون التي جمعها، طبعت بالشام سنة 1306 هـ.

(2) توجد نسخ من هذا الشرح في برلين وتوبنجن، والاسكوريال، والمتحف البريطاني.

(3) ترجمة الشعالبي في : الضوء اللامع 152/4، نيل الابتهاج 173، درة المجال 359/2 فهرس الفهارس 131/2 - 132، تعريف الخلف بموصول السلف 63 - 68.

قَرَّبَتْ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ بِهَذِهِ الْأَرْبَعِينَ الْمُنْذِرِيَّةِ، وَقَدْ عِنْدَ إِلَى شَرْحِ السُّلَيْبِيِّ فَلِخَصَّةٍ
وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَلاحِظَاتٍ عَنَّتْ لَهُ، وَبِهَذَا صَبَّرَهَا الشُّعَالِيُّ دِيبَاجَةً لِكِتَابِهِ؛ ثُمَّ الْحَقَّ بِهَا -
كَأَيُّ قَوْلٍ: «مَجْلَّةٌ أَبْوَابٌ مُسْتَحْسَنَةٌ، مُشْتَمَلَةٌ عَلَى أَحَادِيثَ مُخْتَارَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا قَدْ
يَسْتَعِينُ بِهَا السَّالِكُ الْمُرِيدُ لِحَرْثِ الْأَجْرَةِ» (4).

وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَعْنِدَ لِهَذِهِ الْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا امْتَمَّتْ الْقَدِيمَ، وَنَحْرَجُهَا لِلنَّاسِ فِي
صُورَتِهَا الْمُسْتَقْبَلَةِ الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا جَامِعُهَا وَشَارِحُهَا قَبْلَ الشُّعَالِيِّ؛ لِتَكُونَ دَلَالَتُهَا عَلَى
الْمُهْدَفِ الَّذِي قَصَدْنَا إِلَيْهِ أَوْضَحَ. وَاسْتَفَدْنَا مِنْ عَمَلِ الشُّعَالِيِّ فِي «التَّلْخِصِ وَالتَّقْرِيبِ
وَالتَّرْتِيبِ».

وَقَدْ حَرَصْنَا - حَسَبَ طَاقَتِنَا - عَلَى أَنْ نَرُدَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ إِلَى مَصَادِرِهَا
لِيَعْرِفَ الْقَارِئُ قِيمَتَهَا فِي نَظَرِ نَقَادِ الْحَدِيثِ وَتَقْلِيَتِهِ.

وَاعْتَمَدْنَا فِي تَوْثِيقِ هَذَا الْمَتْنِ - زِيَادَةً عَلَى الْمَصَادِرِ الَّتِي أُشِيرَ إِلَيْهَا فِي الْحَوَاشِي -
عَلَى نَسَخَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: تَحْتَفِظُ بِهَا الْمَكْتَبَةُ الْكُتَابِيَّةُ تَحْتَ رَقْمِ 275 ك، وَتَشْغَلُ 25 وَرَقَةً مِنْ
أَوَّلِ كِتَابِ «الْأَنْوَارِ الْمُضِيئَةِ» الْمَرَّةَ ذِكْرَهُ، وَقَدْ كَتَبْتُ عَامَ 1113 هـ بِخَطِّ مَغْرِبِيِّ
وَاضِحٍ مُتَمِّينٍ. وَقَدْ رَمَزْنَا إِلَيْهَا فِي الْحَوَاشِي بِحَرْفِ «أ».

وَالثَّانِيَتُهَا: نَسْخَةٌ خَاصَّةٌ يَمْلِكُهَا مَعَالِي وَزِيرُ الدَّوْلَةِ الْمُكَلَّفُ بِالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ
سَابِقًا الْمُلَامَةُ سَيِّدِي عَلَّالُ الْفَارِسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَهِيَ تَقَعُ فِي أَوَّلِ مَجْمُوعَةٍ، وَتَشْغَلُ 48 وَرَقَةً مِنْهَا؛ وَقَدْ عَوْرَضْتُ بِنَسْخَةٍ
أُخْرَى، وَأَثْبَتْتُ الْفُرُوقَ النَّاتِجَةَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ بِالْحَوَاشِي أَوْ فَوْقَ الْكَلِمَاتِ بِحَرْفِ أَحْمَرَ
اللُّوْنِ. وَخَطَّهَا مَغْرِبِيٌّ وَاضِحٌ مُشْكُولٌ بِالْحَرَكَاتِ، صَحِيحٌ فِي عُمُومِهِ. وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَيْهَا
فِي الْحَوَاشِي بِحَرْفِ «ب».

(4) الأنوار المضيئة، الورقة 25 (275 ك).

والإسلام من أبرز صفاته أنه يتدخل - بصورة دائمة - في توجيه الحياة الإنسانية الوجهة التي يراها تكفل الحياة السعيدة الكريمة للإنسان في دنياه وفي دينه معاً؛ فهو يتدخل في معتقد الإنسان ويوجهه، وفي أعماله الدينية التي تصله بربه والتي تصله بأخيه الإنسان، فرداً كان أو جماعة يحدد لها استقامتها.

ومن لوازم صفة الإسلام بحياة الناس - على تنوع فروعها - أن تكون له مبادئ ثابتة وواضحة يسيرون الناس عليها، ويحتكمون إليها عند تطبيق هذه المبادئ في المجتمع الإسلامي.

وهنا وضح إلحاح الحاجة إلى كتاب الإسلام يرسم الخطوط الأساسية الكبرى لهذه المبادئ، فكان القرآن الكريم الذي أخذ من الجنس العربي المنتمج الأول لدعوته، ممثلاً للإنسانية وقتما كانت، وحينما كانت؛ فخطب في شخص العربي - بأسلوبه المرن - أحاسيس الإنسان ومشاعره وعواطفه مجردة عن فوارق الجنس، والنوع، واللون، والفقر، والغنى، والجاه، والحسب، والزمان، والمكان؛ فهذه الفوارق الغارضة، وما إليها مما يجذب ذوي النظر القصير فيقف بهم دون النفاذ إلى الجوهر، لا وزن لها في تقدير الإسلام لحقيقة الإنسان.

والقرآن قد أفاد القول في منزلة الإنسان في هذا الكون (5)؛ فهو خليفة الله في الأرض (6) خلقه ليغمرها (7)، والمكونات بما فيها من مختلف العوالم إنما خلقت لهذا الإنسان ليتصرف فيها، ويستمتع بجميع ما يمكنه الانتفاع به من خيراتها (8).

(5) الإسراء 70.

(6) البقرة 30، الأنعام 165، فاطر 29.

(7) هود 61.

(8) إبراهيم 32 - 33، النحل 12، 14، الحج 65، لقمان 20، الجاثية 12، 13 سورة ص 36.

وهو حديثٌ - منها اختلفت صيغة - يهدف إلى الإبانة عن كرامة الإنسان في تعاليم الإسلام وممّ مكانته فيها؛ فهو رفيع المنزلة في حديث الإسلام عما يجب على الإنسان أن يفتقده، وهو كريم معزز عند الحديث عما يجب عليه أن يعمل.

وحينما اتجه الإسلام إلى تنظيم صلة الإنسان بربه، جعل إخلاص التوحيد (9) الأساس الأول الذي تقوم عليه هذه الصلة.

وتوحيد الله الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك، يعني في مقدمة ما يعني - أن عقل الإنسان ووجدانه قد أصبحا حزينين لا يخضعان لغير الله الواحد.

وفي حزية الفكر والوجدان هذه التي منحها الإسلام للمسلم، أسمى وأروع معاني التقدير للإنسانيته.

ومن هنا خلّد الإسلام ذكرى هذه الحزية، ففرض على كل مسلم أن يتحدث عنها سبع عشرة مرة (عدد ركعات الصلاة المفروضة) في كل يوم، حين يتوجه إلى ربه في صلاته ويقرأ: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم﴾ (10).

وعلى أساس من هذه الكرامة الإنسانية أيضا تقوم علاقة الإنسان بالإنسان؛ فالمسلم ولدته أمه حرا، وعلى هذه الحزية يبنى أعماله، وعليها يقيم صلته بغيره، وعليها - مرة ثالثة - يثاب عند الله يوم الحساب أو يعاقب، ويمدح سلوكه بين أفراد الأسرة الإنسانية التي يعايشها أو يدم.

غير أن حزيته هذه لم يزد لها أن تكون مطلقة لا تحدها حدود، ولا تقيندها قيود، بحيث تشبه السيل الجارف لا يلقى شيئا إلا دمره، والعاصفة أهوجاء لا تمر بشيء إلا طوّحت به، ولكن أريد لها أن لا تطفئ على حقي الآخرين في التمتع بحزيتهم أيضا.

وهنا - أيضا - جدت الحاجة إلى وضع معالم هيئتيها عند ممارسة الإنسان حقه في استعمال حزيتيه، فكان التشريع الإسلامي الذي جعل دعائمه الأولى

(9) آل عمران 64، النساء 35، 48، 116، الأنعام 150.

(10) سورة الفاتحة 6.

«الْعَدْلُ» (11) وَإِعْطَاءَ كُلِّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ فِي حَيَاتِهِ كَرِيمَةً تَلِيْقُ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أُنزِلَتْ فِيهَا
الإِسْلَامُ (12).

وَالِإِسْلَامِ - فِي تَقْدِيرِهِ الْوَاقِعِيِّ لِلإِنْسَانِ - لَمْ يَرِ فِي اخْتِلَافِ دَرَجَاتِ بَنِي
الإِنْسَانِ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ (13) مُخَالَفَةً لِسُنَنِ الْكَوْنِ؛ فَالْإِنْسَانُ - فِي عَرَفِ الْحَيَاةِ
الْوَاقِعِيَّةِ - لَيْسَ لَهُ إِلَّا ثَمَرَاتُ سَعْيِهِ، وَهُوَ سَعْيٌ تَخْتَلِفُ نَتَائِجُهُ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرِ
وَالْمَوَاهِبِ وَالْكَدِّ.

وَمَنْ هُنَا كَانَ مِنْ مُسَلِّمَاتٍ مَبَادِيءِ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي تَعَالِيهِ، أَنْ يَحْمِيَ مَالَ
الْمُسْلِمِ كَمَا يَحْمِي عِرْضَهُ وَدَمَهُ (14).

مَالَ الْمُسْلِمِ - فِي قَانُونِ الإِسْلَامِ - فِي حِمَى مِنْ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ، بِغَيْرِ حَقِّ، يَدٌ لَا
تَمْلِكُهُ، وَلَكِنَّهَا - فِي هَذَا الْقَانُونِ أَيْضًا - حِمَايَةٌ لَا يَجِبُ أَنْ تَمَسَّ حُرِّيَّةَ الْمُسْلِمِ الْفَقِيرِ
وَكِرَامَتَهُ، وَأَنْ تَنْتَهِيَ بِالْأَثَرِيَاءِ إِلَى الطُّغْيَانِ وَاسْتِعْبَادِ النَّاسِ.

إِنَّ بِنَاءَ مُجْتَمَعٍ ثَابِتِ الدَّعَائِمِ، يَسُوذُهُ الإِخَاءُ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى وَجْهِ الْخَيْرِ
وَالْبِرِّ (15)، مِنْ أَمْرِ الْأَهْدَافِ الَّتِي قَصَدَ الإِسْلَامُ إِلَى تَحْقِيقِهَا، وَمِنْ هُنَا سَأَغَ لَهُ أَنْ
يَتَدَخَلَ فِي أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَتَمْتَلِكَهُمْ؛ يَهْدِيهِمْ - إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ - فِي إِنْفَاقِ
الْفَاضِلِ مِنْهَا عَنْ حَاجَتِهِمْ، وَيُنَبِّهُهُمْ إِلَى حَقِّ إِخْوَانِهِمُ الضُّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
فِيهَا (16)، وَإِلَى وَجْهِ الْبِرِّ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمِدَّوْهَا بِأَمْوَالِهِمْ، فَكَانَ أَنْ فُرِضَتْ
الرِّزْقَةُ الَّتِي تُجِيرُ الْمُسْلِمَ الْفَقِيرَ أَنْ يَمْتَحَ سَنَوِيًّا جُزْءًا مِنْ مَالِهِ لِإِخْوَانِهِ الضُّعْفَاءِ
وَالْحَتَّاجِينَ.

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِنَايَةِ الإِسْلَامِ بِإِنصَافِ الْفَقِيرِ وَتَكْرِيمِهِ، أَنْ رَفَعَ أَدَاءَ حَقِّهِ إِلَى
دَرَجَةِ الْعِبَادَةِ؛ فَالرِّزْقَةُ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ (17)، وَوَضَعَهَا بِهَذِهِ الْمُرْتَبَةِ

(11) الشورى 15، النساء 58، المائدة 8، الأنعام 152، النحل 90.

(12) الإسراء 70، إبراهيم 32 - 33، النحل 12، الجاثية 12، الحجر 26، 37.

(13) النحل 71، آل عمران 37، النور 38، البقرة 212، الإسراء 30، القصص 82، العنكبوت 37، 62، سبأ 36،
الزمر 52.

(14) الحجرات 12، صحيح مسلم 58/1، 108/5.

(15) المائدة 2، صحيح مسلم 1 - 49.

(16) الذاريات 19، المعارج 24، التوبة 103، النساء 34، الصف 11، النور 33، البقرة 177، 261، 274.

(17) صحيح مسلم 3 - 94، فتح القدير 6 - 466.

الزبيعة يجعلها حقاً من حقوق الله، تتولى الدولة جبايته وجماعته ورعايته، وتُجبر على أدائه من امتنع، وتُحارب من أجله إن دعت الحال إلى محاربتة، كما تتولى - بعد ذلك - إيصاله لمن أثبت لها تجرئها أنه يستحقه.

فعل الإسلام كل هذا صوناً لكرامة المسلم المحتاج أن تمتن، وجماعة لشرفه أن يُخدش، وحفاظاً على ماء وجهه أن تذهب به كدوح المسألة إذا ما تولى أخذ الزكاة من الأغنياء بنفسه «قَالِيْدُ الْعُلِيَا الْمُنْفِقَةُ خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى السَّائِلَةِ» مهتماً كان الأمر.

وهنا يقف عمل أولي الأمر في دولة الإسلام من أجل الحفاظ على حق المسلم الضعيف المحتاج.

وهو عمل - كما رأينا - يختص بالقيام على الحق الواجب لا يتعداه، وبقي - بعد ذلك - تبع متدفق لا يكاد يلحقه التذوب من منافع الخير، ذلك هو استعداد النفوس الإنسانية المؤمنة المحبة للخير أن تجود بمقادير من أموالها، تضعها في أبواب من البر عن طواعية واختيار.

ولم يتدخل الإسلام - بشكل جبري - في توجيه هذه الطاقات الخيرية الهائلة التي تميد - بصقة مستمرة - بناء المجتمع الإسلامي بعناصر القوة والتأسك والحيوية، بل تركها لجهود الأفراد والجماعات داخل المجتمع الإسلامي، ووكل السير فيها إلى ضائر المسلمين - ووحدانهم، واتجه إلى إثارة الأحاسيس الإنسانية من مكامنها، وإلى دلالة المسلم على مواطن هذه الإنسانية في قوله وفي فعله، فجاءت هذه الآيات والأحاديث التي تحت على اصطناع المعروف وفعل الخير وتدل على فضليه، وكان كتابنا الذي نُقدمه وكثير مثله، مما يدل على فضل التعاون في المجتمع الإسلامي وموقف الإسلام منه.

وفي هدي من هذا التوجيه الإسلامي البناء قرّر جلالة الملك العاطر الذكر محمد الخامس - طيب الله ثراه - أن تُنشأ هيئة للتعاون الوطني تنتظم سائر مؤسسات البر والخير في المغرب، وتجعل من أهدافها أن تستفيد من جهود الشعب المغربي في ميدان اصطناع المعروف، وتضمن حركة التعاون على البر والتقوى في هذا البلد أن تسيّر في خطى منظمة محدّدة الأهداف، وتوصّل الحق إلى صاحبه أينما كان.

وقد عهدت جلالته - قدس الله روحه - إلى صاحبة السمو الملكي الأميرة
للا عائشة أن تحيط غراته هذا بالرعاية ليتأني أكله الطيب الدائم، فنحتة سموها من
عطفها وحيويتها ما مكن له أن يزهر ويثمر ويحقق فيه الرجاء.

ووزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية حين تضع بين يدي الشعب المغربي
الكريم دعوة الإسلام الإنسانية إلى التعاون واصطناع المعروف ممثلة في كلام نبيه
عليه السلام، تهدف إلى بيان موقف الإسلام من عمل الخير، وتُسهم في الدلالة على
فضل القائم به، و«الدال على الخير كفاعله» (18).

محمد بن تاويت الطنجي

الرباط 1962/12/4 م

(1 - ظ) (☆) بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي تَوَرَّ قُلُوبَ اَوْلِيَائِهِ بِاَنْوَارِهِ، وَجَعَلَهَا مَعْدِنَ الْحِكْمَةِ وَتَحَلَّ (19) اَسْرَارِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ سَوَابِغَ جُودِهِ وَنِعْمَائِهِ، وَسَقَىٰ اَسْرَارَهُمْ بِكَرَمِهِ مِنْ وَايِلِ رَحْمَتِهِ وَعَمِيمِ اِحْسَانِهِ، فَكَانُوا يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ فِي اَقْطَارِ بِلَادِهِ، وَهَدَاةَ مُعَلِّمِينَ وَمُرْشِدِينَ لِعِبَادِهِ، وَقُدُوةً فِي الْخَيْرِ وَأَمَّةً لِأَهْلِ وِدَادِهِ.

(2 - و) والحمد لله الذي عَرَسَ فِي (☆) قُلُوبِ الْعَارِفِينَ اَنْوَارَ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ، وَوَفَّقَهُمْ لِلْعَمَلِ بِمَا عَامُوا فَرَجَحُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، مَنْ عَلِيَهُمْ تَعَالَىٰ اَنْ جَعَلَهُمْ مِنْ اَوْلِيِ الْاَلْبَابِ، وَفَهَّمَهُمْ بِتَدْبِيرِ مَا تَصَمَّنَتْهُ جَوَاهِرُ السُّنَّةِ وَاَيُّ الْكِتَابِ، وَرَفَعَ عَنْ اَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ مَا اَنْسَدَلَّ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ رَيْنِ الْحِجَابِ، فَشَمَّرُوا عَنْ سَاقِ الْجِدِّ فَسَعَوْا وَعَمَلُوا لِيَوْمِ الْحِسَابِ.

فَلِيْلِهِ دَرُهُمْ مَا اَحْسَنَ مُنْقَلَبَتَهُمْ اِذَا وَرَدُوا الْقِيَامَةَ اَجْرَلِ اللّٰهُ لَهُمُ الثَّوَابِ، وَخَفَّفَ عَنْهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مَشَقَّةَ الْحِسَابِ.

(19) في ا : «محل الحكمة ومدن».

(2 - ظ) فَمُبْحَانٌ مَنْ أَيْقَظَهُمْ، وَلَا أَعْمَالَ السَّعَادَةِ يَسْتَرُهُمْ، فَهُمْ أَنْجَمُوا
النَّجَاةَ يَهْتَدِي بِهِمْ (☆) السَّائِرُ، وَأَعْلَامُ الْهُدَى يَقْتَفِي آثَارَهُمْ
الْحَائِرُ، هَمٌّ وَصَلَّ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِمْ فَقَدْ وَصَلَ (20) وَارْتَقَى، وَمَنْ
أَعْتَصَمَ بِاللَّهِ (و) بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَدْ اسْتَسَمَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ السَّادَةِ الْأَكْرَمِينَ.

يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّعَالِيِّ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، لَطْفُ اللَّهِ بِهِ.

(3 - و) اِعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُّ، وَفَقِنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِإِرْضَائِهِ، وَعَمَّ جَمِيعَتَنَا
بِوَابِلِ رَحْمَتِهِ وَجَزِيلِ خَيْرَاتِهِ، أَنَّهُ لَنَا وَقَفْتُ عَلَى (☆) الْأَرْبَعِينَ
حَدِيثًا الَّتِي أَنْتَخَبْتُهَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُنْذِرِيُّ (21)، وَوَقَفْتُ
عَلَى كَلَامِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ السُّلَمِيِّ الشَّافِعِيِّ (22) عَلَيْهَا،
وَتَخْرِيجِهِ لَهَا، وَزِيَادَتِهِ (23) الْمُسْتَحْسَنَةَ النُّصَمَةَ إِلَيْهَا، رَغِبْتُ فِي
تَلْخِيسِ (24) ذَلِكَ وَتَقْرِيْبِهِ وَتَرْتِيْبِهِ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَنِي
وَإِيَّاكَ بِذَلِكَ، وَإِنْ ظَهَرَ لِي أَنَا شَيْءٌ أَوْ زِدْتُ شَيْئًا نَبَّهْتُ عَلَيْهِ
بِلَفْظِ «قُلْتُ» وَإِذَا فَرَعْتُ مِنْ هَذَا التَّذْيِيلِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ،
أَرَدْتُ ذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِتَحْرِيرِ تَصْنِيفٍ مُشْتَمِلٍ عَلَى أَبْوَابٍ
يَلِدُ سَمَاعَهَا، وَيُرَوِّقُ مَعْنَاهَا، يَمِيلُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ، وَيَعْرِفُ مَعَانِيَهَا

(20) في أ : «ارتفع».

(21) ولد سنة 581 هـ. وتوفي سنة 656 هـ.

(22) محمد بن ابراهيم بن إسحاق المتوفى سنة 803 هـ. أنظر الضوء اللامع، 249/6، وشذرات الذهب 34/7.

(23) في أ - : «وزياداته».

(24) في أ - : «تخليص».

(3 - ظ) أَلْعَارِفُونَ، أُنْتَحِزُوا (☆) فِيهَا مَا يُعْجِبُنِي مِنْ كُلِّ مَعْنَى فَائِقٍ، وَلَفْظٌ حَسَنٌ رَائِقٌ، تَتِمُّ لِلْفَائِدَةِ، وَحَصًّا عَلَى التَّرْوُدِ وَالتَّاهِبِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ.

وسميتهُ :

بِ «الأنوار المضيئة، الجامعة بين الحقيقة والشرعية». وها أنا الآن أشرع إن شاء الله في المراد وهو الموفق بفضله لما فيه المصلحة والسداد.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد السلمي رحمه الله تعالى ورضي عنه : أما بعد فإن الأحاديث الأربعين التي أنتخبها الإمام العلامة زكي الدين عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى في (4 - و) اضطناع المعروف إلى المسلمين، (☆) وقضاء حوائج المهوفين، مما يحب الوقوف عليها، والالتقاد إليها، وقد شاع ذكرها، وحلًا للسامعين وردها، وطاب لأهل المعروف نشرها، وكثر من الطلاب في هذا الزمان الاعتناء بها، والنظر في معانيها، ووقعت منهم بالموقع (25) الأسنى، وهي حقيقة لأن يتحلى المؤمن بها، وينقاد المسلم إليها.

غير أن الشيخ زكي الدين رحمه الله لم يبين فيها من خرجها، ولا من أي الكتب استحسنها.

فأردت تحريرها للطلاب، طلبًا لمشاركتهم في الثواب، (4 - ظ) وتقربًا إلى رب الأرباب، (☆) من غير أن أتعرض إلى تضييف

(25) في أ - : «بالموضع».

حَدِيثٍ أَوْ تَصْحِيحِهِ، وَلَا تَعْرِيفِ سَنَدٍ أَوْ تَرْجِيحِهِ (26).
بابٌ فِي تَخْرِيجِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَذَكَرَ مَا أَنْصَبَ إِلَيْهَا مِمَّا
يُنَاسِبُهَا (27).

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ : «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ (28) عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّ خَلْقِهِ (29) إِلَيْهِ
أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ».

هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبِرَارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ، وَمَعْنَى
«عِيَالِ اللَّهِ» فَقَرَاءُ اللَّهِ؛ فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ فَقَرَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي
يَعُولُهُمْ (30)؛ وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْحَدِيثِ مَا رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدِ الشَّهَابِ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ
(5 - و) قَالَ : «خَيْرُ (☆) النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» (31).

قُلْتُ : وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، وَعَلِمَ أَنَّ
أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ، وَجِبَ مِرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى

(26) عن نسخة أ، - : ع.

(27) الحديث في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 334/6، وشرح مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن منير 283، والجامع الصغير (مع فيض القدير) 505/3. وقد أشار السيوطي إلى ضعفه، ونقل شارحه المناوي عن ابن الجوزي أنه حديث يصح.

(28) هكذا الرواية في كنوز الحقائق للمناوي 74، ورواية الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : «الخلق عيال الله».

(29) رواية الخطيب : «فأحب الناس إليه»، وفي الجامع الصغير : «فأحبهم إلى الله».

(30) يعولهم : يكفل رزقهم.

(31) الحديث في كنوز الحقائق للمناوي 74 عن الطبراني، وفي الجامع الصغير 481/3 عن مسند الشهاب القضاعي، والرواية هناك عن جابر بن عبد الله لا عن ابن عباس. وقد رمز السيوطي إلى حسن هذا الحديث، غير أن المناوي نقل عن تقاد الحديث ما ينزل به عن درجة الحسن.

في خلقه بأداء ما يجب عليه من حقه، ويدل ما أوجب الله لهم من فرضه؛ وقد حدث أبو بكر (32) الخطيب بسنده عن علي بن أبي طالب، وابن عمر رضي الله عنهم (33) عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم، فإن منعوهم حتى يجوعوا أو يعرفوا أو يجهدوا، حاسبهم الله حساباً شديداً وعذبهم عذاباً نكراً».

(5 - ظ) انتهى (☆) من تاريخ بغداد (34)، ولم يذكر في سنده مطعناً.

الحديث الثاني (35)

عن كثير بن عبد الله بن عمرو (36) بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس إلى (37) على نفسه ألا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر (38) من نور يجيئون الله والناس في الحساب» (39).

هذا الحديث رواه ابن حبان في غير «صحيحه»، وقال إن النبي ﷺ قال: «إن لله من خلقه وجوهاً خلقهم لحوائج الناس

(32) هكذا أيضاً بمحاكية أ - : «وابن عمر» وفوقها «خص»، وليس في سند الخطيب البغدادي «ابن عمر».

(33) رواية الخطيب: «ويعمروا ويجهدوا».

(34) تاريخ بغداد 308/5 - 309.

(35) الحديث في فيض القدير 477/2 عن الطبراني.

(36) بمحاكية ع عن نسخة «بن عمرو» تصحيف. وكثير بن عبد الله هذا متهم بالكذب. خلاصة الخزرجي 272.

(37) رواية الطبراني: «عبادا استخلصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس، وإلى».

(38) الطبراني: «أجلسوا على منابر».

(39) الطبراني: «يتحدثون إليه».

(6 - و) يَوَعْبُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَعْدُونَ الْجُودَ مَتَجَرًّا، وَاللَّهُ (ص) مُحِبُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

قُلْتُ : وَلَفِظُ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ «بِهَجَةِ الْمَجَالِسِ وَأَسَى الْمَجَالِسِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ، هُمْ الْأَمْنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (40). اِنْتَهَى.

الْحَدِيثُ الثَّلَاثُ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقًا لِحَوَائِجِ (41) النَّاسِ يَفْرَعُ إِلَيْهِمُ النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ، أَوْلَائِكَ الْأَمْنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى» (42).

(6 - ظ) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَالْقُضَاعِيُّ فِي مُسْنَدِ الشَّهَابِ؛ وَيَشْهَدُ لِهَذَا (ص) الْحَدِيثِ مَا رَوَيْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ سَعَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ (43) فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ أَوْ لَمْ تَقْضَ عَفَرُ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَتَبَ لَهُ «بِرَاءَتَيْنِ : بِرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَبِرَاءَةً مِنَ الْيَنْفَاقِ».

(40) الحديث في الترغيب والترهيب للمنذري 390/3، والجامع الصغير (مع فيض القدير) 477/2 عن الطبراني، وروايته تختلف عن هذه.

(41) رواية أ : «إن الله عز وجل خلقا خلقهم».

(42) الحديث في الترغيب والترهيب 390/3.

(43) رواية أ : وحاشية ع : «المسلم».